

والمتمجسة في مقر الجامعة العربية بتونس - هي ظاهرة العبث بقدرات الشعوب العربية ومن بينها شعبنا التونسي . بينما تركت القضايا المصرية - التي وصلت اليوم الى "العظم" - من تهديدات الامبريالية والصهيونية في الهامش المنسي . فنشاهد الجامعة تعالج التردد والخصام ، بالكلام والمزايدات الكلامية وبالشقاكات وتغذية المعارك المسلحة ، كل ذلك لفائدة هذه الطبقة (القلة) لفائدة الامبريالية والصهيونية .

وموضوعيا ، فاننا نجد تناسبا في المصالح - اذا لم تكن تبعية نظامية - بين هذه القلة التي تستثمر مجهود وقدرات الشعوب والاطوان وبين مصالح الامبريالية .

البقاء في الحكم مهما كانت الطريقة ...

استقر رأى المسيرين والمدبرين التونسيين منذ زمان على أن الاهم بالنسبة لهم هو القطيعة مع الشعب التونسي ، وتسليط القمع عليه من أجل البقاء في الحكم . . وان لا يكون الحكم منبثقا من الشعب ، لان الشعب لم يستقل لهذا ، بل لتحمل وزر جديد بعد وزر الاستعمار . والخطر في الامر هو ان الاوضاع في تونس لم تتطور بشكل عفوى ، بل بمنهجية وعن سابق اصرار ، انتقلنا بمقتضاها تدريجيا من عزيمة تجسيد الاستقلال بعد بضع سنوات من حياة تونس المستقلة الى خطة تظهر بجلاء للتكرار لذلك الاستقلال والعودة شيئا فشيئا الى الانسلاخ والتفسخ والرضى بتنظيم قواعد الاستعمار في تونس .

وهناك من حاول واجهد نفسه للقول بأن هناك ولا شك بعض العناصر الوطنية قد دخلت في اجهزة الحكم ولعلها ترد شيئا من البلا . لكن تبين أن التيار جارف ، تيار العودة الى الحماية الاستعمارية . . ليست "حماية الشعب" هذه المرة ، بل حماية القلة التونسية لقضا حاجات اخطر لا بالنسبة لتونس فقط ، وانما بالنسبة لمنطقة البحر الابيض المتوسط كلها والتي نعيش فيها . بحيث غمر هذا الامل بعض المواطنين والمناضلين - عن حسن نية - فتشبثوا بعبارات "التفتح" و"الانفتاح" و"المسار الديموقراطي" و"التعددية" . . . وكل هذه الالفاظ التي دخلت السوق التونسية قد تبينت مهمتها في تغطية - بصفة شغافة من حسن الحظ - ما يجرى في الواقع ولتغيم البلاد . نقول لتغيم البلاد ونبين لماذا .

١ - الاستعمار الفلاحى : انه التفويت في اراضي الدولة او في اراضي صغار

"تجسست التبعية في الحياة اليومية . .

فما العمل ؟ . . ."

التقت "الاختيار الثورى" بالاخوان في حركة الوحدة الشعبية التونسية ودار حوار غني ومثمر حول الاوضاع في البلدين ، تونس والمغرب ، سلط الاضواء على اوجه الشبه في كفاح الشعبين من أجل استقلالهما وتحررها حقيقيا ، وفرة سيادتهما وارادتهما وتطلعاتهما الى الحياة الكريمة والحرية والعدالة الاجتماعية . وبالتالي ضرورة الحوار والتضامن والتعاون الوثيق بين كل القوى الوطنية والتقدمية من أجل خدمة هذه الاهداف المشتركة السامية . . .

ضمن هذا التوجه ، يساهم الاخوان في حركة الوحدة الشعبية في هذا العدد من "الاختيار الثورى" بالمقالة الاتية .

■ ■ ■

" اصبحت مصالح الامبريالية والمستثمرين التونسيين مشتركة ومتكاملة . ولم تعد هناك من مقارنة بين آمال وطموحات الشعب التونسي ، من جهة ، وكل ما تحقق وتراكم من ثروات . . وانبطاحات وتبعيات لقلة من التونسيين من جهة ثانية . انسلاخ هؤلاء عن مجتمعهم وانضموا الى صفوف مستثمرين بكل وسائل الاستثمار والاستثراء بما فيها الفاحش .

ولم يقتصر الاستثراء بكل صوره على تونس فقط ، بل توسعت القلة التونسية في التبعية الى مختلف انحاء عالمنا العربي .

والظاهرة في عالمنا العربي اليوم ، المسيطرة والمسببة في اكثر هرج -

الفلاحين الذين انضموا الى وحدات انتاجية، التفويت فيها لمعمرين تونسيين في البداية، ثم التفويت اليوم في اراض خصبة مشهورة بانتاجها وامكانياتها المستقبلية الى مستغلين غير تونسيين. وحتى ولو كانوا عربا فالامر لا يقبله العقل.

وليعلم كل من ينادى بالتقريب بين الشعوب العربية، انه من المستحيل ان يصبح الاستثمار اداة تقريب. على العكس من ذلك، فان هذه الاراضي التي وقع التفويت فيها في هذه الولاية، وتلك التي هي بصدده في الولاية الاخرى، ما هي الا الغام في القطاع الفلاحي وفي الاراضي التونسية ستنفجر على المستثمرين لها وعلى من سهل لهم. وهي مجرد مستوطنات جديدة تذكرنا بجهود وأشكال اخرى من الاستعمار...

٢ - الاستعمار الصناعي: اما في القطاع العمومي، صناعيا كان ام سياحيا ام عمرانيا، فاننا نجده هو الاخر يتفكك بشكل تدريجي، ويعطي للمسؤولين على تنميته فرص "تطهير اوضاعه". .. فيفككوه ويبيعون منه شيئا، ثم يكونون شركات مختلطة بدعوى استثمار رؤوس اموال عربية للمساهمة في تنمية ميدان النقل او الفوسفات او الصناعات الكيماوية او السياحة... وكلما وقع تفكيك وتفويت الا وزرعت الغام جديدة خطيرة جدا بالنسبة لاستقرار الشعب التونسي، وحتى لحسن العلاقات مع الناس الذين دخلوا في هذه اللعبة لاستغلال الطاقات التونسية على اساس الاستغلال فقط، دون اى اعتبار آخر.

٣ - الاستعمار الثقافي: الى جانب كل ما وقع من تلوث ثقافي، ومن مسّ وقهر للمبدعين والمنتجين الوطنيين المخلصين، نرى اليوم التوغل في الانبطاح امام الثقافات الاجنبية بل في النداء لها بان تغزو من جديد قسما كبيرا من الاجهزة التونسية...

واذا كان ١٢ ماي من السنة الماضية يعتبر يوم حداد لتونس، فقد حاول النظام ان يجعل منه يوم تأميم الاراضي التي كانت عند الاستعمار، ويظهره كيوم عيد امام الشعب.. الا ان الاراضي رجعت الى معمرين جدد.. ولم يتوان النظام عن استغلال هذه الذكرى ليجعل منها يوم تدشين رسمي، وبكل ابتهاج، لقناة فرنسية للتلفزيون، والقضا' على كل امكانيات رفع مستوى الثقافة التونسية.

٤ - التبعية المالية: لقد أصبحت تونس من الناحية المالية تابعة لاصحاب رؤوس الاموال العرب، وذلك تحت ذمة الدولتين الفرنسية والامريكية، على اساس ان انتما' القلة المحظوظة ثقافيا وذهنيا، انتما' غربي، وأن جلب رؤوس الاموال

العربية ما هو الا اداة لتدعيم ذلك الانتما'، وتوطيد التضامن بين كل الاقليات الحاكمة في الدول العربية.

امام كل هذه الاوضاع، فلا بد من اليقظة ورد الفعل حتى يقف هذا النظام عند حده في مرحلة اولى، ثم تتقدم القوى الجديدة لتحرير البلاد واعطائها وجهها جديدا غير الوجه الحالي، وجه الفساد والتبعية والاستغلال والتنكر لكل القضايا الجوهرية بالنسبة لتونس او بالنسبة الى العالم الذي تنتمي اليه تونس.

وهذا هو الوضع الذي تواجهه حركة الوحدة الشعبية، وتسعى الى اعداد مناضليها وتنظيمهم وتسليحهم ايديولوجيا، والى كسب اكثر ما يمكن من التعاطف بين كل المواطنين التونسيين داخل البلاد او خارجها. وكذلك التعاطف بين التونسيين كمجموعة وشعوب الدول العربية والاسلامية حتى يتبين للجميع ان كفاحنا متجذر منذ عشرات السنين في صميم عزيمة الحرية والتحرر للشعب التونسي واجياله المنطلقة منذ ثورة على بن غدام ومحاولات محمد علي وتضحيات فرحات حشاد... تحاول حركة الوحدة الشعبية الانتما' الى كل هذه الاجيال من اجل التصدي لهذا التيار الجارف والمستعمل لكل الاسلحة: اسلحة المال، واسلحة التضامن الرجعي العربي، واسلحة القوى الاجنبية - ومنها الصواريخ المنتصبة على بعد ١٦٠ كلم من ارض الوطن - وغالبا اسلحة التدجيل ومسخ الحقيقة.

النظام بالمرصاد لكل التنظيمات السياسية والطبقة الشغيلة عدوه الالد

ان النظام يعتمد بكل مثابة القضا' على القوى المتصدية لمسخ تونس وحرمانها من التنظيمات السياسية والسعي الى تفكيكها وادلالها او احيانا بيعها. هكذا وقع حط العزائم في تنظيم الشباب والطلبة، الى جانب ما حدث ضد الطبقة الشغيلة من ارماب وقتل وسجن ومحاكمات غاشمة، وما هو واقع من محاكمات عسكرية واضطهادات ضد من جاهر بتعلقه بالاسلام او من اراد ان يلعب دورا سياسيا في البلاد على اساس القواعد الاسلامية.

ووضعت الغام في صلب الطبقة الشغيلة وفي تنظيماتها، حتى تتقاعس لا فقط عن حياتها الاعتيادية المتمثلة في الدفاع عن المصالح اليومية والحياتية للطبقة الشغيلة، بل وبالخصوص حتى لا تكون القوة السلمية والحية التي تساهم بشكل منظم في اعداد الاختيارات الاساسية لتجديد المجتمع التونسي، وتجديد استقلال تونس، وتجديد البنية الاقتصادية والاجتماعية والمؤسسات التونسية...

حتى لا تنزاح تونس وتذهب بين الارباح وتراكمها، بين الاستثمارات والاحتلال والخنوع أمام الاعداء الحقيقيين الذين تواجههم الامة العربية. وهذا الامر خلاف لما يظنه اصحاب النوايا الحسنة ليس بمجرد حديث، وانما شرع فيه منذ سنوات عن طريق ايدى ائيمة لا تزال منغمسة في نفس الطريق، ويسعى اصحابها الى تكوين وضعية يعزونها حتى يستحيل تعديلها، أو اصلاحها وتقويم خطئها.

وتقوم هذه الجماعة في كل المستويات بالتهب والرشوة والفساد... لا نجدهم في المناصب الحكومية فقط، بل فيهم من يبيع نفسه في نطاق بنك، أو يستولي على شركة وطنية أو على اراضي الشعب... واتفقوا جميعا على أن لا يستتب الاستقرار في البلاد...

أما الذين دخلوا في "جعفرية" الشركات ورووس الاموال وسموا انفسهم اهل الصناعة وأهل التجارة... فلقد أصبحوا يطردون ويخلقون ويتعسفون ويقصون اجنحة الانتهازيين الجدد الذين بدأوا للظهور، بحيث أصبحت الحالة "ذراعك يا علاف"... وهل هناك فرصة لرد هذا البلاد؟

يجب : أولا أن لا نرضى، ثانيا أن نغضب،
وثالثا أن نعيد البناء...

فعلا، لقد أصبحت السلطة في يد هؤلاء الذين لا يفكرون في المصلحة العامة للشعب. وما هجرة التونسيين الى الخارج الا نتيجة قصور في السياسة التعليمية والتكوينية، وقصور في سياسة خلق مواطن عمل... ويغلب الظن على أن هذا القصور مقصود ومدبر لترك البلاد بدون شبابها، رمز التقدم والنمو، وما بقيت منه الا بالنسبة التي يمكنهم مراقبتها ومواصلة استغلالها... ان واجب كل القوى التقدمية هو أن تسعى لتغيير هذه الاحوال بصورة سليمة وديموقراطية، على أن يكون لهذا الجهاد وفي مستقبل قريب اثر في البلاد. ويجب أولا أن لا نرضى، ثانيا أن نغضب وثالثا أن نعيد البناء في طريق الحرية والكرامة والهوية الصحيحة : الهوية الوطنية الشعبوية التقدمية، والثقافة الوطنية والحضارة التي ننتمي اليها. وهي المراحل التي نريد أن نقطعها بسرعة، ولكن بتنظيم علمي محكم على اساس عقيدة اشتراكية يغلّب عليها العقل والنزامة والوطنية... والى الامام نحو تونس جديدة في مغرب عربي حر ومستقبل.

حركة الوحدة الشعبية. تونس.